

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[171] لعلّهم يذكّرون). و"السنين" جمع "سنة" بمعنى العام، ولكنّها إذا قرنت بلفظة "أخذ" أعطت معنى الإبتلاء بالقحط والجذب، وعلى هذا يكون معنى أخذته السنة هو: أُصيب بالقحط والجذب، ولعلّ علّة ذلك هي أن أعوام القحط والجذب قليلة بالقياس إلى أعوام الخصب والخير، وعلى هذا إذا كان المراد من السنة السنين العادية لم يكن ذلك موضوعاً جديداً، ويتبيّن من ذلك أن المراد من السنين هي السنين الإستثنائية، أي سنوات القحط وأعوام الجذب. وكلمة "آل" كانت في الأصل "أهل" ثمّ قلبت فصارت هكذا، والأهل بمعنى أقرباء الإِنسان وخاصته، سواء أقرباؤه أو زملاؤه ونظراؤه في المسلك والتفكير وأعوانه. ومع أن القحط والجذب أصابا حاشية فرعون ومؤيديه أجمع، ولكن الخطاب في الآية موجه إلى خصوص أقربائه وخاصته، وهو إشارة إلى أن المهم هو أن يستيقظ هؤلاء، لأنّ بيدهم أزمة الناس.... أن يضلوا الناس، أو يهدونهم، ولهذا توجه الخطاب إليهم فقط، وإن كان البلاء قد أصاب الآخرين أيضاً. ويجب أن لا نستبعد هذه النقطة، وهي أن الجذب كان يعدّ بلاءً عظيماً لمصر، لأنّ مصر كانت بلداً زراعياً، فكان الجذب مؤذياً لجميع الطبقات، ولكن من المسلم أن آل فرعون - وهم الأصحاب الأصليين للأراضي الزراعية وإنتاجها - كانوا أكثر تضرراً بهذا البلاء. ثمّ إنّّه يُعلّم من الآية الحاضرة أن الجذب استمر عدّة سنوات، لأنّ كلمة "سنين" صيغة جمع، وخاصّة أنّّه أُضيف إليها عبارة (نقص من الثمرات) لأنّ الجذب المؤقت والعابر يمكن أن يترك شيئاً من الأثر في الأشجار ولكن عندما يكون الجذب طويلاً فإنّه يبديد الأشجار أيضاً. ويحتمل أيضاً أنّّه علاوة على الجذب فإنّ الفواكه والثمار أُصيبَت بآفات قاتلة كذلك.